مبلغ تنبههم الى المنظورات فسألهم عن اذني البقرة هل تكونان من امام او وراء او فوق وكان التلامذة مئة فما اجاب بالصحيح منهم الا اثنان فقط مع ان الجميع من اولاد القرى وقد رأوا البقر كل مدتهم وبذلك تبين له ان عدم التنبه انما يكون غالباً في الموجودات التي تبدو كثيراً للانظار حتى لاتهم ناظرها الا بجملتها دون تفصيلها وهو اعتبار صحيح اذ كلنا كذلك

الا ان هذا النقص ليس بالمسير التلافي بل هو سهل ولا سيما لدى الاولاد فان الصغير الذي لايشغل ذهنه لو اشير عليه بالتنبه في منزله او مدرسته لكل مايبدو لعينه وحمل على ذلك حملاً بالامتحان والتجريب فانه يشب واعياً لاكثر الحقائق الخفية ولو كانت صغيرة حتى تكون له عوناً كبيراً في حالتيه المادية والادبية

وهذا الفصل الذي عقدناه الآن وان كان جزئياً فانما هو من جملة تلك الجزئيات التي اشرنا اليها ولذلك ننبه القارئين لما فيه من الدعوة الى التنبه فانه يصبح غير جزئي حين اعتبارهم به كما ان تلك الجزئيات لو تنبهوا اليها لرأوا ان بعضها ينفعهم نفع الكمال حين حاجتهم اليه

الشعر العصري

٨

المقدمة

وفيما ذكرنا من حيث اخت عمرو بن ود متأمل الى ارتقاء ادب المرأة في العصور الخوالي وعلو همتها وسمو رتبتها فرعى الله هاتيك الفضائل العربية التي نبت نبعها بين تلك الصخور الجلامد فاينع وزكا واثمر كالذي ترى وقديماً قيل

والنبع يوجد بين الصخر منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

فلا يذهبن القارىء الكريم الى ما ذهب اليه البحتري فيقول ان النبع ليس بمثمر ولا يرين رأي ابي العلاء المعري رحمه الله اذ يقول مخطئاً ابا عبادة وقال الوليد النبع ليس بمثمر واخطأ سربُ الوحش من ثمر النبع

كلا ان ذلك النبع الذي ذكرت انما كان ثمره هذه المحامد التي ترى باهر سناها وتنشق عاطر شذاها وحسب هذه الشاعرة دليلاً على حسن ادبها وكرم نفسها وسلامة ذوقها انها لم تقنع بكتمان حزنها على اخيها وابداء شدة جلدها لقتله ولكنها اخذت في مديح قاتله والابانة عن فضائله كالذي أثقل بفواضله واوقر بعطاياه ونوافله وما دلت بذلك الا على فضلها ولا اشارت الا الى نخامة قدر اخيها فحيّ الله ذاك الادب العربي الشريف وسقى هاتيك المعاهد الكريمة. ولا بأس علينا اذا اوردنا هنا بعض ما رأينا من شعر عمرو دلالة على ادبه واقدامه قال يدعو المسلمين الى البراز وهو في الخندق

ولقد بحجت من الندا ... ء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت اذ نكل الشجا ... ع بموقف البطل المناهز
اني كذلك لم ازل ... مستبسلاً اغشى الهزاهز
ان السماحة والشجا ... عة في الفتى خير الغرائز

قاله في اليوم الذي قتل فيه وفي عمرو هذا يقول الشاعر

عمرو بن ود كان اول فارس ... جزع المزاد وكان فارس يليل

وهنا منتهى مارأينا ان نذكره من شعر امير المؤمنين علي بن ابي طالب فلنأخذ فيما وقفنا عليه من شعر بعض ولده رضي الله عنهم وكان الحسن ابنه عليه السلام يعرف حق الشعر ويجل مكانة الشعراء اجزل صلة شاعر فقيل له اتعطي شاعراً يعصى الرحمن ويقول البهتان فقال ان خير مابذلت من مالك ماوقيت به عرضك وان من ابتغاء الخير اتقاء الشر ومثل ذلك جاء عن الحسين عليه السلام وقالوا ان شاعراً امتدحه فاعظم جائزته فلم على ذلك فقال أتراني خفت ان يقول لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ولا ابن علي بن ابي طالب كلا ولكني خفت ان يقول لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كعلي رضي الله عنه فيصدق ويحمل عنه ويبقى قوله مخلداً في الكتب محفوظاً على السنة الرواة فقال الشاعر انت والله يابن رسول اعرف بالمدح والذم مني ولم اقف له رضي الله عنه على غير هذين البيتين

لعمرك اني لاحب دارا ... تحل بها سكينة والرباب
احبهما وابذل كل مالي ... وليس للائم عندي عتاب

وليس في قوله مايدل على تمكنه من صناعة الشعر وقدرته على اتقانه وسكينة هذه ابنتها والرباب امها وعلى ذكر سكينة نورد طرفاً من حديثها

وهي شاعرة اديبة لها مع بعض من عاصرها من الشعراء طرف ظريفة رووا انها وقفت على عروة بن اذينة وكان من جلة العلماء وكبار الرجاء فقالت له انت القائل

اذا وجدت اوار الحب في كبدي ... ذهبت نحو سقاء الماء ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهرة ... فمن لنار على الاحشاء تتقد

فقال لها نعم فقالت وانت القائل

قالت وابثثتها سري وبحت به ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها ... غطى هواك وما القى على بصري

قال نعم فالتفتت الى جوار كنّ حولها وقالت هنّ حرائر ان كان خرج هذا من قلب سليم قط وكان لعروة هذا اخ اسمه بكر فلما مات قال عروة يرثيه

سرى همي وهم المرء يسري ... وغاب النجم الا قيد فتر
اراقب في المجرة كل نجم ... تعرض او على المجراة يجري
لهم ما ازال له قرينا ... كان القلب ابطن حر جمر
على بكر اخي فارقت بكرا ... واي العيش يصلح بعد بكر

فلما بلغ سكينة هذا الرثاء سألت من هو بكر فاخبرت خبره فقالت اهو ذلك الاسيد الذي كان يمر بنا قالوا نعم قالت لقد طاب بعده كل شيء حتى الخبز والزيت ومن شعرها رضي الله عنها في رثاء مصعب بن الزبير حين قتل عنها

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذي ... يرى الموت الا بالسيوف حراما
وقبلك ماخاض الحسين منية ... الى القوم حتى اوردوه حماما

وقد كذب عمر بن ابي ربيعة اقاله الله ان شاء على هذه السيدة الشريفة التقية الطاهرة النقية اذ يقول فيها

قالت سكينة والدموع ذوارف ... تجري على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم اجزه ... فيما اطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى ايامنا ... اذ لاملام على هوى وتصاب
خبرت ما قالت فبت كانما ... يرمى الحشى بنوافذ النشاب
اسكين ماماء الفرات وطيبه ... منا على ظما وفقد شراب
بالذ منك وان نأيت وقلما ... ترعى النساء امانة الغياب
ان تبذلي لي نائلاً اشفي به ... داء الفؤاد فقد اطالت عذابي
وعصيت فيك اقاربي وتقطعت ... بيني وبينهم عرى الاسباب
فتركتني لا بالوداد ممتعاً ... منهم ولا اسعفتني بثواب
فقعدت كالمهريق فضلة مائه ... في حر هاجرة للمع سراب

وساير عبد الله بن الحسن ابا العباس السفاح بظهر مدينة الانبار وهو ينظر الى بناء قد بناه ويدور به فقال عبد الله

الم ترجو شيئاً لما تبنى ... بناء نفعه لبني بقيله
يؤمل ان يعمر عمر نوح ... وامر الله يحدث كل ليله

وكان ابو العباس يشرف محلته ويعلي رتبته فتبسم مغضباً و قال لو علمنا لاشترطنا حق المسايرة فقال عبد الله بوادر الخاطر واغفال المسانح والله ماقلتها عن روية ولا عارضني فيها ذكر وانت اجل من اقال واولى من صفح قال صدقت خذ في غير هذا وقال عبد الله لابي جعفر حين اتهمه باخفاء محمد وابرهيم ولديه لما خرجا عليه

وكيف اريد ذاك وانت مني ... وزندك حين يقدح من زنادي
وكيف اريد ذاك وانت مني ... بمنزلة النياط من الفؤاد

وهجا ابو عاصم محمد بن حمزة الاسلمي المدني الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي بن ابي طالب فقال الحسن

له حق وليس عليه حق ... ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً ... عليه لغيره وهو الرسول

فلما ولي الحسن المدينة اتاه متنكراً في زي الاعراب فقال يمدحه

ستأتي مدحتي الحسن بن زيد ... وتشهد لي بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها ... ابو حسن تعاديها الدهور
قبور لو باحمد او عليٍّ ... يلوذ مجيرها حمي المجير
هما ابواك من وضعا فضعه ... وانت برفع من رفعا جدير

فقال الست الاسلمي ادن حياك الله وبسط له رداءه واجلسه وامر له بعشرة آلاف درهم وفي هذا من جميل الصفح وحسن العفو ما الحسن بن زيد اولى به واحق بشكره

قالوا وكان الحسن هذا قد عود داود بن سلم مولى بني تيم ان يصله فلما مدح جعفر بن سليمان وكان بينه وبين الحسن تباعد اغضبه ذلك وقدم الحسن من حج او عمرة فدخل عليه ابن سلم مهنئاً فقال انت القائل في جعفر ابن سليمان بن علي

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر ... وكان المنى في جعفر ان يؤمرا
حوى المنبرين الطاهرين كليهما ... اذا ما خطا عن منبر ام منبرا
كان بني حواء صفوا امامه ... نخير في انسابهم فتخيرا

فقال داود نعم جعلني الله فداك فكنتم خيرة اختياره وانا القائل

لعمري لئن عاقبت اوجدت منعما ... بعفو عن الجاني وان كان معذرا
لانت بما قدمت اولى بمدحه ... واكرم خيماً ان تخرت وعنصرا
هو العزة الزهراء من فرع هاشم ... ويدعو علياً ذا المعالي وجعفرا
وزيد الندى والسبط سبط محمد ... وعمك ذا المجد اللباب المطهرا
وما نال منها جعفر غير مجلس ... اذا ما نفاه العزل عنه تأخرا
بحفكم نالوا ذراها واصبحوا ... يرون به عزاً عليكم ومفخرا

فوصله اجمل صلة وماكان ماترى من اكبار الحسن لقدر الشعر واكرام الشعراء ليقعد به عن اقامة حدود الدين على الشعراء اذا استحل احدهم محرما او اتى منكراً. دخل عليه ابرهيم بن علي بن هرمه حين ولي المدينة وهو شاعر مقتدر وكان منهوماً في الخمر فقال له يا ابرهيم لست كمن باع الك دينه رجاء مدحك او خوف ذمك فقد رزقني الله بولادة بنيه صلى الله عليه وسلم المادح وجنبني المقابح وان من حقه عليّ ان لا اغضي على تقصير في حق وجب وانا اقسم لئن أتيت بك سكران لاضربنك حداً للخمر وحداً للسكر ولازيدن لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله عزوجل تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمه وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام ... وأدبني بآداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها ... لخوف الله لاخوف الانام
وكيف تصبري عنها وحبي ... لها حب تمكن في عظامي
ارى طيب الحلال عليّ خبثاً ... وطيب العيش في خبث الحرام

ومن شعر موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي

اذا انا لم اقبل من الدهر كلما ... تكرهت منه طال عتبي على الدهر
الى الله كل الامر في الخلق كلهم ... وليس الى المخلوق شيء من الامر
تعودت مس الضر حتى الفته ... واسلمني طول البلاء الى الصبر
ووسع صدري للاذى الانس بالاذى ... وان كان احياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجياً ... لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

وموسى بن عبد الله هو القائل

تولت بهجة الدنيا ... فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم ... فما ادري بمن اثق
رأيت مواطن الخيرا ... تسدت دونها الطرق
فلا حسب ولا نسب ... ولا دين ولا خلق
فلست مصدق الاقوا ... م في قول وان صدقوا

ما ابعد ما بلغ به سوء الظن بالناس وما انأى ما ترامى اليه اعتقاده في الدنيا وكيف هو لا يصدق الاقوام وان صدقوا عفى الله عنه لعله لم يقصد غير المجاز او الايغال. قالوا وكان المنصور حبسه لخروجه عليه مع اخويه ثم ضربه الف سوط فما نطق بحرف واحد فقال الربيع عذرت هؤلاء الفساق في صبرهم فما بال هذا الفتى الذي نشأ في النعمة والدعة فقال

اني من القوم الذين يزيدهم ... جلداً وصبراً قسوة السلطان

ستأتي البقية

احمد محرم